ترجمات القرآن الكريم في يوغسلافيا

المستشرق : فتحي مهدي*

ترجمة : د. محمد موفاكو

إن الاهتمام بترجمة القرآن يعتبر ظاهرة طبيعية اذا أخذنا بعين الاعتبار أن السكان أخذوا منذ القرن الخامس عشر ، اي منذ قدوم الأتراك الى البلقان ، باعتناق الاسلام الذي يعد القرآن بالنسبة له كالأساس. وبعبارة أخرى ان ترجمة لوبيبراتيتش للقرآن الى اللغة الصربوكرواتية لا تعني أن الاهتمام بترجمة هذا الاثر العظيم للثقافة والحضارة العربية قد تاخر الى هذا الحد (١٨٩٥) . ففكرة ترجمة القرآن تعود الى زمن أقدم ، على الأقل الى سنة (١٨١٩) كما نعرف الآن . ففي تلك السنة قام يان تشابلوفيتش بنشر « ملاحظات عن الأتراك ومقطع من القرآن »(١) في الجزء الثاني من كتابه "Slavonien und zum Theil Croatien" .

وفيما يتعلق بدوافع ترجمة القرآن الى اللغة الصربوكرواتية يمكن أن نحدد اثنين ، الأول سياسي والثاني ديني .

ففيما يتعلق بالدافع الأول لدينا حقيقة بارزة ، الا وهي أن الترجمة الأولى قد قام بها قائد الانتفاضة في الهرسك (١٨٧٥) ، ميتشا لوبيبراتيتش ، الذي أثار الشغب ضد السلطة التركية . ومن المعروف أن الاحداث التاريخية في البلقان ، وخاصة بعد الانتفاضة الثانية في صربيا (١٨١٥) قد تطلبت جهداً جدياً لتوحيد الشعب في هذه المناطق ضد العدو الأجنبي المشترك . وفي هذه الحالة كان الأمر يتعلق بتوحيد « المحمديين من القومية الصربية » . وقد أكد على هذا لوبيبراتيتش نفسه حيث يقول: « لقد كانت تهدئة المحمديين

* استاذ في فرع الاستشراق بجامعة بريشتينا /كوسوفا ـ يوغسلافيا .

من القومية الصربية هي فكرتي ، وكنت أعمل على تحقيقها منذ (١٨٦١)، فمنذ قدومي الى بلغراد سنة (١٨٦٧) كنت أعرض هذه الفكرة على كل الحكام الصربيين حتى (١٨٧٤)(٢) ٠

أما فيما يتعلق بالدافع الثاني ، وهو الديني ، الذي ساهم بدوره في التوجه نحو ترجمة القرآن ، فلدينا أفضل دليل في الترجمات اللاحقة الموجهة للسكان المسلمين ٠ ومن أمثال هذه الترجمات « ياسين الشريف » لسليمان كمورا ، وابراهيم أمشيروفيتش ، و « تفسير القرآن » حسين جوزو ، بالاضافة الى جهد « المشيخة الاسلامية العليا » التي أصدرت ثلاثة كتيبات فقط من « ترجمة القرآن مع التفسير » قبل أن تتوقف عن متابعة هذا العمل(٣) ٠

وكان يان تشابلوفيتش قد أراد في (١٨١٩) أن يوفر لقرائه الفرصة بأن يقرؤوا الانجيل التركي (القرآن) !! في حوالي عشر صفحات(٤) ٠

الا أن الأمر تطلب أن تمر ست وسبعون سنة لكي نشهد صدور الترجمة الكاملة للقرآن في اللغة الصربوكراتية ، تلك التي قام بها ميتشو لوبيبراتيتش ٠ وفي الواقع ان تأخر ترجمة القرآن الى لغات المسلمين الأخرى ليس مدفوعا ، كما أنه ليس من المصادفة أن يقوم شخص غير مسلم بترجمة القرآن في وسط مسلم كالبوسنة ٠

ان السبب في ذلك يعود الى الفهم الخاطىء لعلماء الدين المحافظين الذين كانوا يعتقدون ان القرآن لا يمكن أن يترجم الى أية لغة أخرى ، لأن ترجمة القرآن في حد ذاتها ذنب عظيم ٠ وفي الواقع ان هذا الفهم الخاطىء لم يكن يقتصر على يوغسلافيا ، بل ان الأمر كان يتعلق بكل العالم الاسلامي حيث كانت قد أثيرت مناقشات كثيرة وحادة ، ولكن دون أساس علمي أو ديني حين كان الأمر يتعلق بالقرآن ذاته(*) ٠

وقد جاء أول رد سليم على هذا الفهم الخاطىء في سنة (١٩٣٦) حين حطم مدير مجلة الأزهر محمد فريد وجدي كل تلك النظريات حول استحالة ترجمة القرآن وذلك بالاستناد الى القرآن ذاته في قوله تعالى : « **ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** »(٦) ٠

وبعبارة أخرى لقد أتى محمد فريد وجدي بفكرة أن ترجمة القرآن ليست واردة وحسب بل ان الترجمة « أصبحت في عصرنا أمرا لا بد منه ولا يمكن تأجيله لأن الناس اليوم تبحث عن الينبوع الأصلي »(٧) ٠ وفي دفاعه عن هذا كان وجدي يرد على رأي الشيخ

★ الذي اتفق عليه علماء المسلمين ان ترجمة القرآن ترجمة حرفية لا تجوز لعدم استطاعة أي من اللغات العالمية الأخرى التعبير عن الاعجاز البياني للقرآن الكريم كما عبر اللفظ القرآني العربي بصورته الرائعة ، اضافة الى عجز الكثير من اللغات العالمية عن التعبير الحرفي في الترجمة لأن هناك الكثير من الألفاظ القرآنية لا يمكن للغات الأخرى محاكاتها بشكل او بآخر ٠ اما ترجمة معاني الكلمات الى اللغات العالمية من القرآن الكريم على هامش المصحف فذلك ما اقره الكثير من العلماء من المسلمين في عدد كبير من الاقطار ، على ان يحظى المترجم بثقة المسلمين في بلاده على الاقل ، ومن هؤلاء العلماء الأستاذ محمد فريد وجدي الذي سيشير اليه كاتب المقال بعد قليل (هيئة التحرير)

محمد سليمان(*) بأن القرآن روح والروح لا تترجم، ان القرآن نور والنور لا يترجم »، ويحذر من ان البعض يمكن بحق أن يسأل هذا الشيخ : « النور والروح لا يمكن أن تكتب او تقرأ ، فكيف يمكن أن تكتب وتقرأ في العربية ولا يمكن أن تترجم ؟ »(٨) ٠

وهكذا مع ترجمة لوبيبراتيتش للقرآن عندنا انهار الوهم القائل باستحالة ترجمة القرآن ، وبدات بهذا لحظة فاصلة : بداية الاقبال الكبير على ترجمة القرآن وذلك من قبل الأفراد الذين أقبلوا على نشر ترجماتهم في المجلات المختلفة ٠ وفي غضون ذلك اثرت نقاشات متحيزة حول ترجمة القرآن ٠ وكان ممن تميز بهذا الموقف كتّاب مجلة «حكمت»، التي كانت تصدر في مدينة توزلا تحت اشراف ابراهيم حقي تشوكيتش ٠

وفي البداية كان الناشرون لترجمات القرآن هم المترجمون أنفسهم : ألاهيتش ، تشاوشيفيتش الخ ٠ أما من طرف المؤسسات فقد برز كناشر لترجمات القرآن الى الصربوكراتية : « المعهد الصحي » في سراييفو سنة (١٩٢٢) بمختارات من ترجمة لوبيبراتيتش ، « المشيخة الاسلامية العليا »في سراييفو سنة(١٩٦٦) التي أرادت أن تصدر كل القرآن في ثلاثين جزءاً ، دار النشر« فوك كاراجيتش » من بلغراد التي نشرت مختارات من ترجمة « لوبيبراتيتش » سنة(١٩٦٧) ، ودار النشر « ستفارنوست » من زغرب التي نشرت سنة (١٩٦٩) ترجمة بانجا ـ تشاوشيفيتش ٠

لقد زادت ترجمات القرآن الى اللغة الصربوكرواتية بشكل ملفت للنظر ٠ فمنذ (١٨١٩) الى (١٩٦٩) ظهرت ترجمات كثيرة، كاملة او جزئية ، بعضها نشر وبعضها لم ينشر ، بعضها ترجم مباشرة من العربية وبعضها ترجم من لغات أخرى كالفرنسية ، والتركية، والروسية، والالمانية، والانكليزية ٠ ونظراً لان هذه الترجمات لم تحظ برعاية حتى الآن ، فان مهمة هذا البحث هي تقصي هذه الترجمات بشكل كامل ومنسق ٠

☐ الترجمات الكاملة للقرآن :

ليس هناك من شك في أن القرآن ، باعتباره الكتاب المقدس للمسلمين ، قد ترجم وفسّر حتى منذ انتشار الاسلام في بلادنا ٠ ولكن بسبب الفهم الخاطىء حول قدسيته واستحالة ترجمته الى لغة أجنبية لم تتم أية ترجمة مكتوبة للقرآن حتى القرن التاسع عشر ٠

الا أن هناك حقيقة لا يمكن لأحد أن يرفضها : أن القرآن مكتمل من الناحية اللغوية والأسلوبية الى ذلك الحد ، حتى انه من الصعب ، اذا لم نقل من المستحيل ، ترجمته الى أية لغة دون أن يفقد قوة التعبير القرآني العظيم(٩) ٠

---

* هو محمد سليمان ابراهيم عنتارة ٠ قاض مصري ، ولي القضاء الشرعي في « بنا » من اعمال بني سويف ، ثم كان نائبا في المحكمة العليا الشرعية في القاهرة ٠ من مؤلفاته العديدة رسالة في ترجمة معاني القرآن ـ وهي التي رد عليها محمد فريد وجدي ـ مات سنة ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م٠ انظر ترجمته ومصادرها في « الأعلام » للعلامة الزركلي (١٥٣/٦) الطبعة الرابعة (هيئة التحرير)

وعلى كل حال فقد أصبح من المؤكد أن ترجمة القرآن الى أية لغة عالمية ليست ذنباً ، واكثر ما في هذا فقد اصبح في حكم المقرر أنه من الضروري ترجمه هذا الكتاب وذلك بهدف الاكتشاف والتعرف على حضارة خبيرة ومد صلات مع عالم جديد تماما بالنسبة لاوربا من خلال الاستفادة من الينبوع الاصيل لتلك الثقافة والحضارة ، وفيما يتعلق ببلادنا فقد أخذ المسيحيون على عاتقهم هذه المبادرة .

ان سنة (١٨٩٥) تعتبر تاريخية في التاريخ الثقافي ليوغسلافيا نظراً لأنها شهدت صدور الترجمة الأولى الكاملة للقرآن في اللغة الصربوكرواتية ، تلك التي جاءت لتلبي حاجات علمية من ناحية ودعائية من ناحية اخرى . لقد كانت تلك ترجمة ميتشو لوبيبراتيتش(١٠) ، التي نشرت بعد وفاته سنة (١٨٦٥) مع أن فكرة نشر الطبعة الصربوكرواتية للقرآن تعود الى سنة (١٨٦٨) كما يذكر سكيرليتش(١١) .

لقد كانت تلك مفاجأة كاملة ، خاصة للعلماء المحافظين في البوسنة والهرسك . وقد قوبلت هذه الترجمة بنقد مُرّ من العلماء المحافظين اذ ان « ترجمة القرآن الى لغة الكافرين »(١٢) كانت تبدو كحدث مثير . وقد وجدت كل تلك الانتقادات ضد المترجم مكانا لها في مجلة « حكمت »(١٣) ، حيث كان يسود الرأي بان القرآن لا يمكن ترجمته الى أية لغة ، بل يجب على الجيل الجديد أن يتعلم العربية لكي يفهم ما في القرآن ، الشيء الذي كان يعبر في الواقع عن تزمت المشايخ . ومن المتوقع أن جذور هذا الموقف تعود الى النقاشات التي جرت في ذلك الوقت بالضبط في صحف القاهرة بين المحافظين من جهة وبين مدير « مجلة الازهر » من جهة أخرى(١٤) . ففي تلك المناقشات برز الرأي الذي يقول بتعلم العربية كبديل لترجمة القرآن لأنه يخشى ـ كما كان يدّعي ـ أن يأتي وقت تتناقص فيه هيبة الأمة العربية حين يدّعي ذلك الشعب الذي تُرجم القرآن الى لغته بأن القرآن قد أوحي به الى الرسول في تلك اللغة وليس في العربية(١٥) .

١ ـ الترجمة الأولى للقرآن :

بغض النظر عن كل هذا ، فقد أصبح أخيراً في متناول القراء الترجمة الكاملة للقرآن في اللغة الصربوكرواتية في نهاية القرن التاسع عشر . كانت هذه الترجمة تحمل على غلافها ما يلي : القرآن ، ترجمة ميتشو لوبيبراتيتش ـ هرسكوفاتس ، بلغراد (١٨٩٥) ، وفوق اسم المترجم كانت هناك اشارة الصليب دلالة على ان المترجم قد توفي . الا أن لوبا ستويانوفيتش كان قد أوصى حينئذ بنزع ذلك الصليب لان ذلك يمكن أن يكون « فضيحة بالنسبة للمسلمين وفرصة مناسبة للاثارة ضدنا نحن المسيحيين »(١٦) . وحول هذا يقول د. محمد حاجياهيتش : « على كل نسخة يمكن ملاحظة أثر الصليب المنتزع فوق اسم المترجم ، ولكن وجدت نسخة واحدة فقط أعيد طبع غلافها من جديد »(١٧) .

ان هذه الترجمة ـ وكما يبدو من صفحة الغلاف الداخلي ـ قد طبعت على نفقة وقف ايليا ميلوسافليفيتش ـ كولاراتس في بلغراد وذلك في المطبعة الحكومية لمملكة صربيا .

وقد امتدت هذه الترجمة على (٤٧٦) صفحة بالاضافة الى ثلاث صفحات خصصت لـ « معجم بعض الأشياء والاسماء التي تذكر في القرآن ومكان ورودها » . وتجدر الاشارة هنا الى أن هذه الترجمة قد طبعت بالأبجدية الكيريلية(١٨) .

لقد انحصرت ترجمة القرآن من صفحة(٣) الى صفحة (٤٧٦) دون أن يكون هناك مقدمة او تفسير . وعوضاً عن « سورة » يلجأ المترجم لوبيبراتيتش الى تعبير « رأس » ، كما انه لا يقدم اسم السورة في الاصل العربي بل يترجمه فقط . وهكذا بعد اسم السورة تأتي الآيات مرقمة ، وكل آية تبدأ دائماً من اول السطر .

لقد حاول لوبيبراتيتش أن يترجم القرآن حرفياً . والقصد هنا أن ترجمته لم تكن مثقلة بالتفسيرات داخل النص الأصلي كما في ترجمة بانجاوتشاوشيفيتش . ولكن في بعض المواضع كان المترجم يعطي بعض التوضيحات في اسفل الصفحات دون أن يُفرِّق في التفاصيل(١٩) .

ان ترجمة لوبيبراتيتش يمكن اعتبارها حرة ، ويبدو هذا أولاً في ترقيمه للآيات وفي ترجمته لها(٢٠) . فمثلاً نجد أن آية « إن الله عليم بذات الصدور » قد ترجمها كما يلي: « خافوا من الله لانه يعرف داخل قلوبكم » الخ .

في أواخر هذه الترجمة (ص ٤٧٧ـ٤٧٩) يقدم لوبيبراتيتش « معجم بعض الاشياء والأسماء التي تذكر في القرآن ومكان ورودها » . وهنا يظن لوبيبراتيتش أن لفظ « جبت » هي اسم لأحد الأصنام ، ولكن يبدولي أن هذا اللفظ يراد به « القبط » أي المصريون القدماء .

وبعد الطبعة الأولى لهذه الترجمة(١٨٩٥) أعيد نشر مختارات منها مرتين متتاليتين ، ففي المرة الأولى لدينا مختارات بعنوان « الحياة والصحة والمرض والموت في القرآن »، تلك التي اختارها د.م.يوفانوفيتش ونشرها « المعهد الصحي » في سراييفو سنة ١٩٢٧ . وقد نشرت مختارات أخرى في بلغراد سنة (١٩٦٧) بعناية ميودرا مكسيموفيتش ، حيث نشرت معها دراسة المستشرق د. حسن كلشي التي نشرت سابقاً في مجلة « آزرار »(٢١) .

٢ ـ الترجمة الثانية للقرآن :

في سنة ١٩٣٧ ظهرت ترجمة جديدة لاثنين من علماء المسلمين المعروفين في البوسنة والهرسك : محمد بانجا وجمال الدين تشاوشيفيتش . وقد صدرت هذه الترجمة في سراييفو تحت عنوان : القرآن الكريم ـ ترجمة وتفسير(٢٢) .

وفي مقدمة هذه الطبعة يذكر تشاوشيفيتش أن « هذا العمل قد تم على غرار ذلك الذي قام به العالم التركي العظيم عمر رضا . وبالاضافة الى هذا يضيف تشاوشيفيتش لاحقاً الدافع الذي أثاره للقيام بهذا العمل : « اني أمل من كل قلبي أن يصل هذا الكتاب الجميل

والمقدس الى أيدي الناس لدينا • وبهذا العمل آمل أن يتمكن المسلمون من الاهتداء بيسر الى المعاني السامية للقرآن العظيم الكريم ، الشيء الذي كان هدفي الأساسي »(٢٣) •

ان هذا يعني أن تشاوشيفيتش كانت له أهداف أخرى أيضا : أن يبين للعالم « أننا نحن المسلمون أيضا في هذا الجزء من أوربا ، وعلى الرغم من قلة عددنا ، نقدر ونرغب أن نترجم ونفسر المنبع السامي لديننا ، أي كما يمكن ان تفعل أيضا المراكز الرئيسية للعالم الاسلامي •

لقد أردت من هذا أن أثبت أنه لا يمكن قياس روحيتنا بعددنا الصغير في هذا الركن من أوربا »(٢٤) •

بعد هذا نجد في هذه الطبعة « الكلمة الأولى عن ترجمة وتفسير القرآن للعالم الكبير عمر رضا » • وهنا يتفق عمر رضا وتشاوشيفيتش ، الذي نقل هنا كلمته لهذا الغرض، مع بقية مترجمي القرآن في أن القرآن لا يمكن أن يترجم • وهكذا ، بالاستناد الى رأي المستشرق بيكثال Picthal ، نقرأ حرفيا مايلي:« ان القرآن لا يمكن أن يترجم • لقد كان علماء المسلمين القدامى مع هذا الرأي وانا أيضا أتفق معهم كليا • ولذلك لا أستطيع أن أؤكد أنني نجحت في ترجمة القرآن • انني أحاول وأجتهد في نقل المعاني القرآنية • واذا نجحت في هذا فانني ساكون سعيدا • ولكن هذا العمل، وبالتحديد هذه الترجمة ، لا يمكن أن تكون بديلا عن القرآن الاصيل الصحيح ،ولا يمكن أبدا أن يتم هذا في يوم من الأيام »(٢٥) •

وفي الوقت الذي يعد فيه « بيكثال » نفسه سعيدا اذا نجح فقط في نقل المعاني القرآنية الى اللغة الانكليزية ، فان عمر رضا يبدو أشد تواضعا في هذا المجال ، ولذلك نجده يقول : « ونحن لا نؤكد أيضا بأننا نجحنا في ترجمة القرآن • اننا نحاول ونجتهد في نقل وتفسير المعاني القرآنية • وبالنسبة لنا سنشعر بأكبر سعادة اذا نجحنا في ذلك ، بل حتى اذا تمكنا فقط من التقدم عدة خطوات الى الأمام »(٢٦) •

بعد هذا ، تأتي الصفحات التي تحمل الأعداد الرومانية VII-LXVIII لتعرف ببعض الأمور من تاريخ القرآن وذلك تحت عناوين منفصلة : ما القرآن ، ترتيب القرآن وتقسيمه ، جمع القرآن ، توزيع القرآن الكريم ، القرآن والكتب المقدسة ، حفظ القرآن الكريم • وفي القسم الثاني لدينا عناوين اخرى : الوحدة الالهية ـ الآخرة ـ العالم الخالد ـ الجنة والجحيم ـ الوحي الالهي وحياة محمد (ﷺ) •

وبعد هذه الايضاحات العامة تأتي ترجمة القرآن، القرآن الكريم ـ ترجمة وتفسير (ص ١ـ٩٥٧) • وهنا تتضح لدينا فروق بارزة بين هذه الترجمة وبين ترجمة لوبيبراتيتش سواء فيما يتعلق بالأسلوب أو بالمضمون • ففي بداية كل سورة نجد ملخصا لمضمونها ومكان نزولها وعدد آياتها • وفي هذه الترجمة ترد السور مرقمة بالارقام العربية ، وتحمل كل سورة عنوانها الأصيل في العربية • وبعد هذه المعطيات نجد محتوى كل السورة ، بينما نجد أن حجم هذا المحتوى أو المضمون يختلف حسب طول السورة •

فالسور الطويلة كانت تقسم الى أجزاء ،كسورة البقرة التي قسمت الى (٤٠) جزءاً وسورة الهجرة الى (٦) أجزاء الخ · وبعدكل هذا تاتي الترجمة تبدأ ب « بسم الله الرحمن الرحيم » مرة في اللغة الاصلية ومرةمترجمة في الصربوكراتية ·

ان الترجمة في هذه الطبعة تتميز بكونهامتطابقة باياتها المرقمة من الاصل القرآني ، الشيء الذي ينسجم مع معايير الطبعةالنقدية · فالقارىء اصبح في وسعه أن يجري مقارنة مع الأصل ، وأن يعطي رأيه في هذه الترجمة ·

أما فيما يتعلق بالترجمة ، فيمكن القولانها غير حرفية وليست مثقلة بالتوضيحات الموضوعة داخل قوسين ( ) · ونجد هنا أنالترجمة تصاحبها أحياناً تعليقات تتعلقبآيةما في بعض السُوَر ·

ومع انه يُعتقد بأن بانجا وتشاوشيفيتش قد استندا في ترجمتهما وتعليقاتهما على عمر رضا ، الذي بدوره استند على ترجمةمحمد علي زعيم الأحمدية في لاهور ، الا أن الأمر لا يمكن أن يعتبر حقيقة مطلقة لأننانجد في ترجمتهما توضيحات قليلة بالمقارنة مع ما نجده لدى محمد علي(٢٧) ·

في نهاية هذه الطبعة ، ص ٩٥٨ـ٩٧٦ هناك الفهرس والكشاف ، بينما نجد في الصفحة (٩٧٧) متى ولدى أيّ الآيات يجبالقيام بالسجود حين يقرأ القرآن ، وتنتهي الطبعة أيضاً بكلمة على امتداد صفحة لمترجمالقرآن الى التركية عمر رضا ·

لقد حظيت هذه الترجمة بطبعة جديدة فيزغرب(٢٨) · وفي هذه المرة قام بمراجعة الترجمة الحافظ عمر موشيتش ، بينما تولىعلي ناميناك المراجعة الأسلوبية بالاعتماد على الاصل العربي · وفي مقدمة هذه الطبعة نجدأن الناشر يقرر بأنه « لا توجد هناك ضرورة لترجمة جديدة تماماً ، نظراً لجودة الترجمةالتيقام بها م. بانجا و ج. تشاوشيفيتش»(٢٩) ·

وتجدر الاشارة هنا الى الأمر المتعلق بالتحضيرات الضرورية لترجمة جديدة تماماً يختلف عما ورد هنا · فليس من المعقول أنالناشر كان يجهل أن بسيم كركوت قد قام بترجمة جديدة وأن هذه الترجمة كانتجاهزةللطبع ، في الوقت الذي ظهرت فيه هذه الطبعة في زغرب · ويبدو لنا أن الدافع وراء هذا هوالتهرب من حقوق التأليف ونفقات الطبع · ومن المؤكد بالنسبة لنا أن ترجمة كركوتكانت معروفة لان مجلة « غلاسنيك » كانت تعلن عنها ·

أما فيما يتعلق بالتأكيد على عدم الحاجةلترجمة جديدة فان الأمر لا يبدو مقنعاً على الاطلاق ، خاصة اذا عرفنا أن ترجمة كركوتكانت الوحيدة التي تمت ترجمتها من اللغة العربية مباشرة ·

على كل حال نجد أن الطبعة الجديدةللقرآن في زغرب قد بدت في توزيع جديد ، فعلى سبيل المثال نجد أن الفهرس وتوضيحالكلمات العربية والمختصرات قد أصبحت في المقدمة ، بينما أصبحت التعليقات (ما هوالقرآن ، ترتيب السور ، الخ) في المؤخرة ·

وفي الواقع لقد كان التوزيع في الطبعة الاولى أفضل مما جاء الآن على هذا الشكل . وفي الطبعة الجديدة نجد بعض التدخلات من الناحية اللغوية هنا وهناك بينما قدمت المعطيات التاريخية بترتيب زمني وبشكل مقولب كما في الطبعة الاولى .

وبعد مقدمة الناشر نجد الفهرس (ص X-VII) حيث وردت أسماء الآيات العربية بالحروف اللاتينية ، اي دون ترجمة . أما في الصفحات XII-XI فقد ورد بشكل مختصر وواضح « توضيح الكلمات العربية والمختصرات » ، مع أن الأمر كان يستدعي في بعض المواضع مزيداً من التوضيح كما في « الجزية »، « الجنب » ، « الاسلام » الخ . ففيما يتعلق بـ « الاسلام » مثلاً نجد أن المترجم يجعل هذا مجرد مرادف للايمان .

أما ترجمة القرآن مع التوضيحات القصيرة فتمتد عبر الصفحات (١-٨٣٤) وكما في الطبعة الاولى نجد هنا الأصل أيضاً ، النص العربي للقرآن مع الآيات المرقمة ، بينما تبدأ ترجمة كل آية من أول السطر وهو الشيء الذي لم يكن في الطبعة الاولى ، ولا شك أن هذا يزيد النص وضوحاً .

ان الاخراج الفني للترجمة والتفسير ـ النص الأصلي ، الترجمة ثم التفسير ـ لدى تشاوشيفيتش يكاد يكون هو نفسه في الترجمة الانكليزية لمحمد علي وهذا يثبت من جديد ان المترجمان بانجا و تشاوشيفيتش قد قاما بعملهما على غرار الترجمة التركية لعمر رضا، الذي ترجم القرآن بدوره على غرار الترجمة الانكليزية المذكورة . وفي هذه الطبعة أيضاً لم يتغير اسلوب الترجمة . فبعد المعطيات الأساسية عن كل سورة ، وبعد التوضيح الموجز للسورة تأتي الترجمة المتطابقة مع النص العربي . والنص العربي هنا يقدم بصفحاته كما هي واردة في القرآن ، بينما تبدو الترجمة هنا بشكل افضل من الناحية الفنية بالمقارنة مع الطبعة الاولى . وفي بعض الاماكن نجد أن الترجمة تمتد للصفحة الثانية أو قد تسبق الأصل ، الا ان هذا لا يمثل آية عقبة طالما أن الآيات مرقمة(٣٠) .

وفي هذه الطبعة أيضاً نجد أن السور قد قسمت الى أجزاء حسب مضمونها وطولها ، بحيث يحمل كل جزء عنواناً خاصاً . فمثلاً نجد أن سورة « النازعات » قد قسمت الى جزأين مع (٤٦ آية) الجزء الأول يحمل عنوان « الزلزلة الكبيرة »، بينما يحمل الجزء الثاني عنوان « الكارثة الكبرى » . وتجدر الاشارة هنا الى أن بعض الآيات قسمت الى عشرة أجزاء وأكثر ، بينما لم يشمل التقسيم بعض الآيات الأخرى(٣١) .

لقد أثقل المترجمان بانجا و تشاوشيفيتش الترجمة بفتح الأقواس داخل الآيات لاقحام بعض المترادفات في اللغة الصربوكرواتية أو لوضع مفردات أخرى لغرض التوضيح(٣٢) . وعلى كل حال ان هذا الأسلوب في الترجمة يدفعنا للتساؤل عن السبب في ذلك : هل هو عدم معرفة اللغة الأم(*) أم لعدم الفهم الدقيق للنص الذي ترجماه ؟ ومن هنا نتفق في الرأي تماماً مع محمد هانجيتش الذي يطالب في معرض حديثه عن ترجمة القرآن أن يترجم

---

* يريد لعدم فهمهما للغة العربية حق الفهم . (هيئة التحرير) .

القرآن بشكل علمي ويضع لذلك الشروط التالية : « معرفة المترجم للغتنا ثم معرفته للغه العربيه وكل العلوم الدينية »(٣٣) ·

اما فيما يتعلق بتفسير وملاحظات جمال الدين تشاوشيفتش ، فقد كان من الأفضل أن يكتب الملاحظات فقط لانه لم يكن هناك لا المجال ولا الوقت لكي يقدم تفسيراً عن بعض الامور(٣٤) · وقد قدمت الملاحظات على شكل هوامش وهي لم تتعد بأرقامها السور الى سورة اخرى كما هو الأمر لدى محمد علي ·

وفيما يتعلق بهذه الملاحظات فقد انتقد تشاو شيفيتش من قبل العلماء المسلمين الذين كانوا يلتفون حول مجلة « الهداية »(٣٥) · وقد اتهمه العلماء حينئذ بأنه يتعاطف مع الطريقة الأحمدية التي كانوا يقفون ضدها · ففي ذلك الوقت اعتبر هؤلاء العلماء أن هذه الطريقة تتبنى « التعاليم التي تخالف الاحكام الواضحة وروح منبع الاسلام » ، وهذا كان « في خدمة قوى معينة مشحونة بالعداء ضد الاسلام والمسلمين »(٣٦) · ولذلك فقد عبر العلماء المسلمون عن شكهم في موقف رئيس العلماء ج. تشاوشيفيتش : « اننا لا نعرف ما هي العلاقة بين رئيسنا السابق وزعيم الحركة الأحمدية في برلين »(٣٧) ·

وفي الواقع ان ملاحظات العلماء المسلمين ليست في مكانها لانه لا يوجد في التعليقات التي كتبها ج. تشاوشيفيتش أي شيء يتعارض مع تعاليم الاسلام(*) · وعلى كل حال فقد كان تشاوشيفيتش قد اختصر كثيراً تعليقات محمد علي ·

٣ ـ الترجمة الثالثة للقرآن :

في سنة (١٩٣٧) وبعد عدة شهور فقط من صدور ترجمة بانجا وتشاوشيفيتش صدرت ترجمة أخرى للقرآن دون تفسير للحاج علي رضا كارابك(٣٨) · وقد صدرت هذه الطبعة حينئذ في خمسة آلاف نسخة(٣٩) · ومع أن المترجم قد ذكر بأنه قد ترجم القرآن من العربية الا أن هذه الترجمة تكاد تكون تقليداً لترجمة لوبيبراتيتش ، ولذلك فقد اعتبرت مجرد « تبديل سطحي لترجمة لوبيبراتيتش »(٤٠) ·

في هذه الطبعة لدينا أولاً مقدمة (ص ١ـ٦) حيث يتحدث المترجم عن الترقيم بشكل عام ، وخاصة عن المصاعب التي تعترض مترجم القرآن · وفي معرض حديثه عن هذه المشكلة يشير كارابك الى أن القرآن يمتد عمره الى اربعة عشر قرناً ولذلك فانه من الصعب اعادة صياغته في اللغة العربية الحالية، فكيف بترجمته الى اللغات الأخرى : « لو أراد المرء أن يترجم القرآن الى اللغات الأخرى ، بل حتى الى الأسلوب الأدبي الحالي للغة العربية، لتطلب الأمر الابتعاد عن بلاغة القرآن ، واذا أراد الاحتفاظ ببلاغة القرآن فعليه الابتعاد عن أسلوب الكتابة الحالية في اللغة العربية »(٤١) ·

---

* كان الأجدر بالكاتب او المترجم ايراد كلا الرايين ليتاح للقراء المحايدين الحكم بصحة راي احد الطرفين ، اما ان يحكم الكاتب او المترجم بصحة او عدم صحة راي احد الطرفين دون بيانه فذلك ما يناقي قواعد النقد السليم (هيئة التحرير)

وبعد هذا يتعرض كارابك في مقدمته الى مضمون القرآن ثم الى محاولته بأن تكون الترجمة دقيقة الى أبعد حد ممكن ، أي أن لا تتجاهل أي شيء في النص الاصلي وألا تضيف أي شيء غير موجود في الأصل . ولاجل هذا يعترف بأنه استفاد من « أشهر تفسيرين للقرآن »(٤٢) . أما عن عدم تقديمه للنص الأصلي للقرآن فقد أورد ثلاثة أسباب :

١ ـ في هذه الحالة سيرتفع ثمن الترجمة بينما هدفي هو أن أطرحها في أقل ثمن ممكن لكي تنتشر بشكل أفضل بين المسلمين .

٢ ـ في ظروف كثيرة لن ينال هذا النص الاحترام كما يجب .

٣ ـ في هذا الشكل لن تقل قيمة الترجمة لانني رقمت الآيات المترجمة كما هي مرقمة في المصحف ، التي تفصل النقاط فيما بين آياته . ومن ناحية أخرى أعتقد أن كل مسلم يحتفظ بقرآن في بيته »(٤٣) .

وطالما أن هذه الترجمة قد صدرت في الوقت الذي كانت قد وصلت للأيدي ترجمة بانجا وتشاوشيفيتش، فقد وجد كارابك من المناسب أن يقول شيئاً : « اذا كنا ، نحن المسلمون اليوغسلاف، لا نعرف البخل فعلاً ـ كما يقول الكثيرون في الحديث وفي الكتابة ـ فليس من الكثير أن تكون هناك ترجمات ، ترجمة السيد تشاوشيفيتش وترجمتي، لأقدس كتاب لدينا . فقد صدرت هاتان الترجمتان تقريباً في وقت واحد بعد أن مرّ وقت طويل لم تظهر فيه أية ترجمة الى لغتنا »(٤٤) .

وفي نهاية المقدمة ينبه كارابك القارىء الى أنه قد ترجم بعض الكلمات كـ « رب » ، « رحمة » ، « نبي » ، « رسول » الخ بعيدة أشكال أي أنه لم يعتمد دائماً على معنى واحد .

لقد سار كارابك في ترجمته على غرار لوبيبراتيتش . وقد اعترف كارابك نفسه بانه قد استفاد من ترجمة لوبيبراتيتش ، الا أنه وجد نوعاً من الاهانة فيما قيل عن ترجمته بأنها مجرد « تبديل سطحي لترجمة لوبيبراتيتش » . ففي مقاله « رد على العرض المتعلق بترجمتي للقرآن » الذي نشر في مجلة « الهداية » يوضح كما يلي صلته بترجمة لوبيبراتيتش : « لقد أخذت بالفعل ترجمة لوبيبراتيتش واستفدت من تلك المقاطع التي أعجبتني والتي كانت مترجمة بشكل صحيح . انني لا أنفي أن وجود ترجمة لوبيبراتيتش قد ساعدني ، وقد كان في وسعي أن آخذ منهاما هو جيد وجميل ، الا أن ما يجرحني هو ذلك الادعاء بأن هذا مجرد تبديل سطحي لترجمة لوبيبراتيتش »(٤٥) .

وفي الواقع ان تشابه هاتين الترجمتين هو مسألة خاصة في حد ذاتها . وعلى كل حال ان التشابه الى حد ما هو أمر طبيعي . ولكن يبقى على المختصين أن يُقرروا مدى الصلة بين هاتين الترجمتين وذلك بالمقارنة بينهما .

ان ترتيب السور عند كارابك مرقم بالأرقام الرومانية ، وهو يسمي السورة « رأساً » Glava كما عند لوبيبراتيتش ، الا أنه يختلف عنه بوضع التسمية العربية « سورة » Sura بين قوسين .

وكما يبدو من الأمثلة المختلفة فان كارابك يختلف عن لوبيبراتيتش في أنه يقدم أسماء السور في اصلها العربي ، مع أنه يستثني من ذلك بعض الآيات • فسورة البقرة مثلاً لا يذكرها باسمها العربي ، بينما يتلافى ذلك ابتداء من السورة الثالثة « آل عمران » حيث يبدأ بتقديم التسمية الأصلية في العربية مع ترجمتها الى اللغة الصربوكرواتية • وفيما يتعلق أيضاً بترقيم الآيات فقد اختار طريقة يتميز بها عن لوبيبراتيتش ، اذ أنه لا يبدأ كل آية من اول السطر بل يميز بداية الآيات بالارقام المطبوعة بشكل ملفت للنظر • وكما قلنا: ان هذه الترجمة تخلو من تفسير ، الا أن المترجم يعمد الى تقديم بعض التوضيحات هنا وهناك على شكل هوامش يصل عددها الى خمسة وتسعين • وفي نهاية هذه الطبعة لدينا جدول بالأخطاء المطبعية (ص ١ـ٤) وأخيراً الفهرس (ص I-IV) •

لقد تعرفت الاوساط العلمية لدينا على القرآن في نهاية القرن التاسع عشر ، حين صدرت ترجمة ميتشو لوبيبراتيتش سنة (١٨٩٥) • ومع أن هذه الترجمة لم تبق الوحيدة الا أنها دون شك الأولى من نوعها • وقد أنجزت حتى الآن عدة ترجمات للقرآن في اللغة الصربوكرواتية ، الا أن نصفها تقريبا لا يزال مخطوطا •

ان القرآن الآن لم يعد الكتاب المقدس للمسلمين فقط ، كما كان الامر حتى نهاية القرن التاسع عشر ، بل انه أصبح الآن هدفا للدراسات العلمية في المجالات الاستشراقية والقانونية والتاريخية ، الخ •

* * *

□ الهوامش والاحالات :

* العنوان الاصلي للبحث « ترجمات القرآن في اللغة الصربوكرواتية » ، اي ان الامر يتعلق بترجمات القرآن الى اللغة الاولى من حيث الانتشار في يوغسلافيا • ان هذا البحث الاصل قسم من اطروحة لنيل درجة الماجستير ، وقد نشر هذا القسم لاول مرة في اللغة الصربوكرواتية :

Feti Mehdiu, Stpskohrvatski prevodi Kur'ana,
Studia Humanistica III, Pristina 1980, s. 149-163.

1 — Dr. Muhamed Hadziahic, Bibliografske biljeske o prijevodima Kur'ana kod nas, Bibliotekartsvo, br. 3, Sarajevo 1967.

2 — Dr. Savo Ljubibratic-Todor Krusevac, Prilozi za proucavanje hercegovackih ustanaka 1857-1878. godine, Godisnjak Istorijskog drustva BiH, VIII, Sarajevo 1956, s. 185.

٣ ـ ان الترجمة الاخيرة للقرآن ، التي قام بها بسيم كركوت، هي الوحيدة التي يمكن اعتبارها ترجمة علمية •

٤ ـ في الازمنة القديمة ، بل وحتى اليوم ، لا يتم التمييز بين « الدين الاسلامي » وبين « الدين التركي » ، الشيء الذي يعبر عن مغالطة كاملة • ويبدو لي ان هذا جاء نتيجة تحول الشعوب البلقانية من النصرانية الى الاسلام نتيجة للفتح العثماني •

٥ ـ محمد فريد وجدي • الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن الى اللغات الأجنبية ، مجلة الازهر ، القاهرة (١٩٣٦) •

٦ ـ المصدر السابق ٠

٧ ـ المصدر السابق ٠

٨ ـ المصدر السابق ٠

٩ ـ المصدر السابق ٠

١٠ ـ ولد م٠ لوبيبراتيتش في لوبوف ، بالقرب من تربينيا ، سنة (١٨٣٩) وكان من زعماء الانتفاضة في الهرسك سنة (١٨٧٥) عاش لاحقا في مملكة صربيا وتوفي في بلغراد سنة (١٨٨٩) ٠

11 — Omladina i njena knjizevnost (1848-1871), Beograd 1906, s. 221.

12 — Hadziahic, Bibliografske bilieske, s. 41.

13 — Hikjmet, br. 9, Tuzla 6. IV. 1936, s. 267.

١٤ ـ المقطم ، القاهرة ١٩٣٦/٤/٢٢ ٠

١٥ ـ في مقالة المذكور (هامش ٥) يقدم محمد فريد وجدي ردا واسعا ومثبتا بالادلة ضد معارضيه من المحافظين ٠

16 — Hadziahic, Bibliografske bilieske, s. 43.

١٧ ـ المصدر السابق ٠ يبدو ان الصليب لم يتم انتزاعه من جميع النسخ ٠ فالنسخة التي استفدت منها (نسخة مكتبة فرع الاستشراق في بلغراد) تحتفظ بالصليب ، بينما لا يوجد الصليب في نسخة مكتبة غازي خسرو بك في سراييفو٠ ومن المؤكد ان حاجي اهيتش قد استفاد من هذه النسخة٠

١٨ ـ في مقالة « ترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغات الاوربية والشرقية » (منار الاسلام رقم ٢ ، ١٩٧٦) يذكر الشيخ طه الوالي ايضا ترجمات القرآن الى اللغة الصربوكرواتية ٠ تحت الرقم المتسلسل ١٢ يذكر الشيخ الوالي ان القرآن مترجم الى اللغة البوسنوية (اليوغسلافية):مرتان بالحروف العربية ٠ و (٩) مرات بالحروف اللاتينية ، ومرتان بالحروف الروسية ٠ ويبدو هنا ان الامر يتعلق بالحروف الكيريلية ، اذ ان بقية المعطيات ايضا لا يمكن اعتبارها صحيحة ٠

١٩ ـ في هذه الترجمة لا يوجد الا (٥٦) هامشا ، وهي لا ترد مرقمة بل يشار الى الواحد منها بنجمة ٠

٢٠ ـ في بعض الاماكن يزيد او ينقص عدد الآيات ، او تبدو بعض الآيات بارقام تختلف عن الاصل العربي ٠ فعلى سبيل المثال نجد ان سورة النساء تتضمن (١٧٥) عوضا عن(١٧٦) بينما عمد لوبيبراتيتش في سورة المائدة الى تقسيم الاية الواحدة احيانا الى شطرين ٠

21 — Dr. Hasan Kalesi, Kur'an - remek delo arapske knjizevnosti, Izraz, br. 2, Sarajevo 1967, s. 183.

22 — Kur'an Casni, prevod i tumac, preveli i "aredeli" Hafiz Muhamed Pendza i Dzemaludin Causevic, Sarajevo 1937.

23 — Ibid. "Rijec izdavaca".

24 — Ibid.

25 — Ibid. s. V.

26 — Ibid.

٢٧ ـ هنا لدينا (١٤٨٠) توضيحا بينما لدينا في الترجمة الانكليزية (٢٨٢٢) توضيحا ٠ انظر :

The Holy Qur'an, containing the arabic text with english translation and comentary by Maulavi Muhammad Ali, second edition 1920, Lahore, Panjab, India.

28 — Kur'an Casni, preveli hafiz Muhamed Pandza i Dzemaludin Causevic, tumacenje i biljeske : Dzemaludin Causevic, Zagreb 1869.

بعد هذه الطبعة صدرت عدة طبعات لاحقة في (١٩٧٢ ، ١٩٧٤، ١٩٧٨) ٠

٢٩ ـ المصدر السابق ، مقدمة الناشر ٠

٣٠ ـ في هذه الناحية يبقى من الافضل ما فعله محمد علي ،اي تقديم الترجمة جانب الاصل ٠

٣١ ـ على سبيل المثال نجد ان سورة البقرة في الطبعة الاولى(١٩٣٧) قد قسمت الى ٤٠ جزءا ، بينما قسمت في الطبعة الثانية (١٩٦٩) الى ٣٩ جزءا ٠

٣٢ ـ في الترجمة الانكليزية لمحمد علي لا يوجد هذا الشيء ٠

33 — El-Hidaje, br. 9, Sarajevo 1938, s. 142.

٣٤ ـ لقد تم انجاز هذه الترجمة في وقت قصير جدا ٠ فقد بدا العمل في هذه الترجمة ، كما يذكر د٠ حاجي ـ اهيتش ، في (١٩٣٦) بينما نشرت خلال (١٩٣٧) ٠

٣٥ ـ بمناسبة صدور هذه الترجمة جرت نقاشات حادة بين ممثلي مجلة « الهداية » الناطقة باسم « الجمعية العلمية لملكة يوغسلافيا » وبين المترجمين بانجا وتشاوشيفيتش ٠

36 — El-Hidaje, br. 11-12, Sarajevo 1938, s. 166.

37 — Hadzihié, Bibliografske biljeske, s. 48.

38 — Kur'an, vreveo sa arapskog hadzi Ali Riza Karabeg, Mostar 1937, str. 6+423+4+IV.

39 — Hadzihic, Bibliografske biljeske, s. 48.

40 — Muhamed Pasic, Moje misljenje o prevodu Kur'ana od g. H. Riza ef. Karabega, El-Hidaje br. 11-12, Sarajevo 1938, s. 173.

٤١ ـ مقدمة المترجم ص ١ ٠ ولد المترجم كارابك سنة (١٨٧٢) وقد تخرج من المدرسة الشرعية ، الا انه لم يتول اي عمل في المنظمات الدينية للمسلمين ٠ توفي في مدينة موستار خلال (١٩٤٤) ٠

٤٢ ـ المصدر السابق ص ٣ ٠

٤٣ ـ المصدر السابق ٠

٤٤ ـ المصدر السابق ص ٥ ٠

45 — H. Ali Riza Karabeg, Odgovor na prikaz moga prevoda Kur'ana, El-Hidaje br. 11-12, Sarajevo 1938, s. 171.

★ ★ ★